Journal Of the Iraqia University (72-3) October (2024)



ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq



إمكانية فهم نص القرآن

احمد عبدالزهره رزيج العبد العزيز
جامعة المصطفى العالمية كلية العلوم والمعارف
إشراف الأستاذ الدكتور مهند جمال الدين١

المستخلص

إن فهم النص والعوامل المؤثرة عليه نقطة مهمة جداً ينبغي التطرق إليها، ولكن قبل التطرق إلى إمكانية الفهم والعوامل المؤثرة في فهم النص، لا توجد طريقة لتحديد وتقرير الكلمتين الأساسيتين النص و فهم؛ والنص حقيقة موجودة موضوعيا وخارجيا بغض النظر عن وجود المفسر، وقد خلقها خالق؛ لقد عرّفوا النص بأنه الشكل المسجل للكلام في شكل مكتوب.وقد أصبح هذا التعريف اعتقادًا لا يمكن إنكاره حتى بين مجموعة واسعة من اللغويين؛ وفي مثل هذه الظروف لا يمكن اعتبار اللوحة والفيلم والملصق الإعلاني بمثابة نص، ويجب أن يقتصر النص على اللغة؛ ونقصد في هذا البحث النص، وهو بالضبط نفس شكل الكلام المسجل في شكل كتابة، والذي وجد مثالا عليه في القرآن الكريم؛ لكن الفهم هو الفهم الكامل لمعنى النص أو معانيه. ويعتبر عالم مثل غادامر أن الفهم حدث يحدث نتيجة التقاء أفق المفسر وأفق النص.وقد قدمت في طريقة فهم القرآن عدة آراء، يعتقد البعض أن القرآن كتاب غير مفهوم؛ لقد تقدمت جماعة للتعبير عن المعاني الباطنة للقرآن الكريم وبدأت في تفسيرات هدامة جامحة.منذ بداية الإسلام، كانت حياة المسلمين والمفكرين دائماً هي فهم وتفسير آيات القرآن قدر الإمكان؛ ولقد رأى معظم علماء المسلمين ومفسريهم أن من الممكن للمعصومين عليهم السلام أن يفهموا القرآن فهما كاملا، وللعلماء وعامة الناس إلى حد ما؛ لذلك، تمت كتابة العديد من التفسيرات حتى الآن؛ وبطبيعة الحال، لا توجد مثل هذه النظرة السائدة حول مفاهيم أجزاء الآيات أو العبارات مثل الحروف المقطعة.

الكلمات المفتاحية: الإختلاف الدلالي، الاوامر القرآنية، الفهم، النص القرآني

المقدمة

لطالما كان كتاب القرآن الكريم محل تقدير بين المسلمين باعتباره جوهرة باهظة الثمن وقيمة؛ ومن أجل حمايتها من ضرر التحريف وتلاعب قطاع الطرق، لم يدخر حتى حياته؛ وإن الجهود الحثيثة التي يبذلها المؤمنون في الحفاظ على تراث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الثمين وحمايته قد جعلت القرآن الكريم يغطي فترة طويلة من حياة الإنسان دون ذرة واحدة من عدم الخلوصة؛ وينبغي للمسلمين في كل عصر أن يفخروا بتلقي مثل هذه العطايا الثمينة من الخالق الرحيم، وأن يتباهوا على غيرهم من الناس بالاعتماد عليهاالحقيقة العليا لمفاهيم القرآن من ناحية، واعتماد المسلمين المستمر وتمسكهم بكتابهم المقدس وتوجهاته من ناحية أخرى، كان سبباً في حياة الفكر الإسلامي وتعاليمه وقوته وثباته في كل العصور وتفوقه على سائر الأفكار؛ ولكن هناك عوامل عديدة تسببت في اختلاف فهم القرآن الكريم والتطرف والتجاوزات في مجال فهم المعرفة الحقيقية لهذا الكتاب الكريم؛ وبطبيعة الحال، فإن حدوث الاختلافات في الفهم لا يؤدي أبداً إلى نتيجة يستحيل فيها الوصول إلى الهدف الحقيقي للقرآن.وقد قدمت في طريقة فهم القرآن عدة آراء، يعتقد البعض أن القرآن كتاب غير مفهوم؛ لقد تقدمت جماعة للتعبير عن المعاني الباطنة للقرآن الكريم وبدأت في تفسيرات هدامة جامحة.منذ بداية الإسلام، كانت حياة المسلمين والمفكرين دائماً هي فهم وتفسير آيات القرآن قدر الإمكان؛ ولقد رأى معظم علماء المسلمين ومفسريهم أن من الممكن للمعصومين عليهم السلام أن يفهموا القرآن فهما كاملا، وللعلماء وعامة الناس إلى حد ما؛ لذلك، تمت كتابة العديد من التفسيرات حتى الآن؛ وبطبيعة الحال، لا توجد مثل هذه النظرة السائدة حول مفاهيم أجزاء الآيات أو العبارات مثل الحروف المقطعة.[٢]القدرة على فهم القرآن تعني القدرة على فهم معنى ومضمون آيات القرآن واكتشاف معنى الله تعالى قدر الإمكان.[٣]ويمكن إثبات إمكانية فهم القرآن من الأدلة التالية:

١. السبب العقلي: يرى بعض علماء القرآن أن القرآن دليل على نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لا بد من أن يكون مفهوما،[٤] لأن إغلاق طريق فهم القرآن لأي سبب، بالإضافة إلى ركود هذه المعجزة، يفصل النبوة عن برهانها وسندها؛[٥] كما اعتبر البعض أن القدرة على إرشاد الجميع

بالقرآن هي حكمة الله، ولذلك اعتبروا أنه من الممكن لجميع الناس أن يفهموا القرآن،[٦] كما اعتبرت جماعة أن لغة القرآن فطرية وفهمها أمر ممكن وامر وجداني للجميع؛[٧] وهذا يعني أنه من خلال قراءة القرآن ورؤية الآيات المتعلقة بموضوع ما، سيفهم الجميع جيدًا أن لديه فهمًا واضحًا له ولا يتعرض للغموض والتردد والشك؛ وبطبيعة الحال، تعتبر هذه المجموعة أن فهم القرآن مثل فهم أي كتاب آخر يتطلب العلوم الأساسية والمعارف المتعلقة بها؛[٨] كما أن الدورة العملية والتركيز الذهني على فهم محتوى النصوص الدينية وكذلك ضرورة تكرار الأوامر من القادة السماويين للاستفادة من هذه النصوص وشموليتها وصحتها.[٩]بالاضافة على ذلك، فقد تحدث القرآن الكريم على مبادئ الحوار العقلي وهذا الحوار مفهومة، ولذلك، إذا كان التفسير العامي وفهم القرآن بطريقة خاطئة، كان ينبغي إبلاغ هذا الأمر من قبل الشارع المقدس.[١٠]

٢. الآيات: عدة فئات من آيات القرآن تبين مدى فهمه.[١١] ومن الآيات التي تفسر القرآن وترشد الناس، "هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ"[١٢] وسهل الفهم: "وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ"،[١٣] يعني أنه يسهل على عامة الناس فهم مقاصد القرآن، ويمكن لأي شخص أن يتذكر الأمور الإلهية بالاستفادة منه بقدر فهمه.[١٤]كما أن في بعض الآيات الحث على تدبر القرآن وآياته والتعلم منه: "كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ".[١٥] وفي بعض الآيات عدم التفكر مذموم فيه:"أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها"،[١٦] ومن هذه الآيات نرى أنه من الممكن لجميع البشر أن يفهموا معاني القرآن.[١٧]وقد ذُكر في بعض الآيات على المشركين عدم تدبّرهم للقرآن، وعدم فهمهم أنه لو كان من عند غير الله لكانت فيه اختلافات كثيرة: "أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً".[١٨] ومن هذه الآيات نرى أنه من الممكن حتى للمشركين أن يفهموا القرآن ليكتشفوا عدم وجود اختلاف فيه.[١٩]

أسباب إمكانية فهم نص القرآن

إن فهم النص والعوامل المؤثرة عليه نقطة مهمة جداً ينبغي التطرق إليها، ولكن قبل التطرق إلى إمكانية الفهم والعوامل المؤثرة في فهم النص، لا توجد طريقة لتحديد وتقرير الكلمتين الأساسيتين النص و فهم؛ والنص حقيقة موجودة موضوعيا وخارجيا بغض النظر عن وجود المفسر، وقد خلقها خالق؛ لقد عرّفوا النص بأنه الشكل المسجل للكلام في شكل مكتوب.[٢٠]وقد أصبح هذا التعريف اعتقادًا لا يمكن إنكاره حتى بين مجموعة واسعة من اللغويين؛ وفي مثل هذه الظروف لا يمكن اعتبار اللوحة والفيلم والملصق الإعلاني بمثابة نص، ويجب أن يقتصر النص على اللغة؛ ونقصد في هذا البحث النص، وهو بالضبط نفس شكل الكلام المسجل في شكل كتابة، والذي وجد مثالا عليه في القرآن الكريم؛ لكن الفهم هو الفهم الكامل لمعنى النص أو معانيه. ويعتبر عالم مثل غادامر أن الفهم حدث يحدث نتيجة التقاء أفق المفسر وأفق النص.[٢١]يقسم العلماء الفهم إلى فهم منهجي بسيط ومنهجي أو محدد يتم الحصول عليه من علوم مثل اللغة، الصرف، والنحو والبلاغة والفهم التأويلي والعرفاني أو الفهم التمثيلي والتأويلي؛ ويأتي علم التأويل من الفعل اليوناني Hermeneuein الذي يعني تفسير، ومن حيث أصل الكلمة فهو مرتبط بكلمة هرمس رسول الآلهة في اليونان القديمة؛ وهو كعلم مسؤول عن طريقة وفن تفسير النصوص؛ وقد ورد ذكره في المجالات الدينية للمسيحيين والمسلمين منذ زمن سحيق[٢٢]والهدف في هذا البحث هو الفهم المنهجي الذي يتحقق بالكلمات والبلاغة؛ ويعتبر العلامة الطباطبائي الفهم أحد أنواع الإدراك كالظن والشعور والذكر والعرفان، ويقول في تعريفه: فالفهم هو نوع من انفعال العقلي أمام الشؤون الخارجية، ومنه يتخيل لعب الأدوار العقلية.[٢٣]ومن الضروري أن نذكر أن لدى العلامة الطباطبائي نقاشاً مستفيضاً حول فهم القرآن وأنواعه وطرقه؛ وهو يقسم الفهم إلى فهم عادي وعرفي، وفهم علمي واعي، ويعتبر الفهم العلمي الواعي المبني على سلسلة من العلوم العقلانية صحيحا، وفي الوقت نفسه ينتقد الفهم الأحادي الجانب. يكتب العلامة الطباطبائي في التفسير: وقد اكتفى بعض أهل الحديث بأحاديث الصحابة والتابعين في فهم المعاني، واستعانوا بآية "وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" للتوقف عن التفكير؛ وقالوا إنه ليس من حقنا أن نستخدم عقولنا وذكائنا لفهم نص القرآن؛ وما علينا إلا أن ننظر إلى معنى حديث ابن عباس أو بعض الصحابي، وهذا مع أن القرآن نفسه لم يطعن في العقل والفكر.[٢٤] وكان هناك أيضاً فلاسفة ومتصوفة، واعتبروا القرآن ظاهرياً وباطنياً؛ وطبعا لا ننكر ذلك أيضا؛ لكنهم تخلوا عن الظاهر وبدأوا في فهم التأويل والتفسير؛ ولكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) اهتموا بظاهر القرآن وباطنه.[٢٥]وبالطبع، تخلت مجموعة من الناس تمامًا عن الفهم الطبيعي والفهم التأويلي وبدأوا في الانخراط في المناقشات العلمية والتجريبية.[٢٦]

أسباب عدم القدرة على فهم نص القرآن

من أجل الحصول على فهم صحيح ومنهجي للكلام الإلهي وعدم الوقوع في دوامة الأساليب المنحرفة القاتلة في تفسير القرآن الكريم، لا بد من مراعاة الأساسيات والمبادئ؛ وتقبل أي تأويل وتفسير كان موافقا لهم؛ ويتجاهل الآراء الأخرى التي اختلف معها كلياً أو جزئياً.

أسباب عدم القدرة على فهم القرآن

ولم يرى جماعة من المحدثين جواز تلقي القرآن وتفسيره إلا للمعصومين عليهم السلام.[٢٧] والأخباريون القرون الأخيرة، مثل استرابادي وحر العاملي، اعتبروا أن فهم القرآن ممكن فقط بمساعدة الروايات؛ وبالطبع هناك اختلاف في الرأي بشأن الصراع بين الأخباريين والأصوليين؛ لأن الأخباريين اختلفوا في حدود الآيات التي يحتاج فهمها إلى الرواية: أما عند جماعة منهم فلا يمكن الرجوع إلى الآيات دون الاستعانة بالأحاديث عن سائر أحكام الدين غير الضرورية؛ سواء كانت أحكام اعتقادية أو فقهية؛ ولكن فريقاً آخر رأى أن معرفة المتشابهات القرآنية ممكنة لغير المعصومين عليهم السلام.[٢٨]

وقد استدل الأخباريون بوجهة نظرهم لأسباب مختلفة:

١. تعقيد مضمون القرآن وتعارض ظاهره: ادعاء جماعة في الاستدلال حول استحالة فهم القرآن أن معظم آيات القرآن تتفوق على فهم الناس وتكون غامضة.[٢٩]وفيها خلافاً لأخبار الأئمة (عليهم السلام) يظهر احتمال النسخ ومخالفة الظاهر؛ وقد فرق الاخباريون بين مظاهر القرآن وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع مظاهر روايات الأئمة (عليهم السلام) واعتبروا النوعين الأولين متشابهات و النوع الثالث يكون من المحكمات؛ ولذلك ينبغي على اعتقادهم عرض القرآن وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأئمة الاطهار (عليهم السلام)؛ لكن ليس هناك مثل هذا الترتيب في أحاديث الأئمة (عليهم السلام).[٣٠]ويظهر بطلان هذا الادعاء مع ما ورد في الأسباب المحتملة؛ لأن غموض الحروف المقطعة وصعوبة فهم الآيات المتشابهة وإخفاء معانيها الباطنية أمر مقبول؛ ولكن لن يؤدي أي منهم بأن فهم وتفسير جميع آيات القرآن الصفة الوحيدة للمعصومين (عليهم السلام)، وآخرون ليس لديهم القدرة على فهم وتفسير أي ترتيب من معاني القرآن.[٣١]كما أن محتوى الطويل والمعقد للقرآن لم يعيق فهم وصحة ظاهر الأحكام، ولا يمكن أن يكون دليلا على إنكار تام لإمكانية فهم القرآن من قبل الآخرين؛ وبالطبع فإن طول المحتوى والمضمون الذي يفوق الفهم البشري في القرآن يجعل غير المعصومين غير قادرين على فهم جميع معاني القرآن وتعاليمه وتفسير جميع مستويات معاني الآيات؛ لكن لا يشترط عدم قدرتهم على فهم وتفسير أي ترتيب من معاني القرآن، خاصة أن الآيات والأحاديث تشير إلى إمكانية فهم أي ترتيب من معاني القرآن لجميع البشر.[٣٢]وينظر جماعة من الأخباريين أيضاً إلى تعارض الظاهري في عدد من الآيات وعدم وجود قاعدة لتفضيل إحداها، فيسعون إلى إثبات ضرورة الترجيح المكتوب من أحاديث المعصومين (عليهم السلام)؛[٣٣] كما ذهبوا إلى أن الإرادة خلاف الظاهر في كثير من الآيات دليل على استحالة فهمها؛[٣٤] لأنه ورد في بعض الروايات أن ظهور بعض الآيات ليس المقصود.[٣٥]وفي الرد يمكن القول إن احتمال الإرادة على خلاف الظاهر ليس من سمات الآيات، وهو يشمل كل كلام، بما في ذلك الروايات؛ ولذلك فإذا قبل هذا الدليل والسبب فلا بد أن يكون كل كلام غير مفهوم، وهذا بطلانه واضح؛ كما أن مجرد احتمال وجود إرادة مخالفة للظاهر لا يؤدي إلى استحالة فهمها في أي كلام؛ لأن منهج الحكماء في التعامل مع هذا الاحتمال هو الفحص والبحث عن الظروف أو أي علامة أخرى يمكن أن تعبر عن المعنى على عكس الظاهر؛ وإذا لم يكن هناك ارتباط، خلافًا للظاهر، فاعتبر بعقلانية أن معنى المظهر هو نية المتكلم.[٣٦]

٢. الآيات: استدل جماعة من الأخباريين بآيات لتعيين فهم القرآن للمعصومين (عليهم السلام)؛ ومن الآيات التي تنهى عن اتباع الظنّ: " إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ"،[٣٧] وآية "وَ إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ".[٣٨]ومن وجهة نظرهم فإن هذه الآيات تتضمن مظاهر القرآن؛[٣٩] وفي الجواب يمكن القول إن هذه المجموعة من الآيات تدل على النهي عن العمل بسبب الظنّ في مسائل الاعتقادية، ولا تتعلق بالأحكام الفرعية.[٤٠]وفي هذا الصدد، تم مناقشة الآيات من ٧٧ إلى ٧٩ من سورة الواقعة أيضاً: .[٤١] "إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * في كِتابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ"ومعنى الآيات المذكورة في إسناد فهم القرآن إلى المعصومين (عليهم السلام) هو أن الضمير "لايمسّه" قد رجع إلى القرآن؛ و"المطهّرون" يعني القادة المعصومين (عليهم السلام) و "مسّ" يعني فهم معاني القرآن و الوصول إلى تعاليمه و أحكامه.[٤٢] لكن "لا يَمَسُّهُ" عند بعض الناس هي صفة لـ "كتاب مكنونٌ" (اللوح المحفوظ) والضمير يشير إليه؛ واعتبر البعض الآخر أن وصف "لا يَمَسُّهُ" ومرجع ضميره فيه خلط بين "كتاب مكنونٌ" والقرآن الموجود في اللوح المحفوظ (وليس القرآن المتوفر للبشر) .[٤٣]كما أنه ليس من الواضح أن كلمة "مسّ" تعني الإدراك والفهم؛ لأن المعجميين أعطوا معنى آخر للمس، مثل "الفهم بحاسة اللمس" و"الوصول إلى الشيء باليد أو الجسم".[٤٤]

الفرق الدلالي في القرآن

في القرآن الكريم، لكل كلمة مكانها المناسب، ولا يوجد بديل لها؛ فإذا تكرر المصداق ودلالة لكلمة ما في كلمة أخرى أو كان لها معنى مشترك وباصطلاح علم الدلالة كانت مترادفة ، فهي ليست مجرد مرادف كامل؛ بل إن توسعة وبسط الألفاظ دليل على شمول جميع الجوانب والأحوال والأهداف حتى لا يبقى أي نقطة مخفية عن وجهة نظر الجميع، ولا يساء فهم الرسالة الإلهية.[٤٥]كما أن "الكلمة واللفظ الدقيقة هي الكلمة التي يمكن أن توصل المعنى المقصود إلى الإنسان ولا توجد كلمة أخرى يمكن أن تنقل نفس المعنى في مكانها؛ وهذا ما يعبر عنه ترتيب القرآن بسياقه وكلماته وبأعلى مستوى من البلاغة، أنه إذا بدلت تلك الكلمة كلمة أخرى أو مرادفها لا يمكن أن تحقق معناها".[٤٦] ومن الأمور التي تستحق الاهتمام بها في تفسير

القرآن الكريم هو الربط الدلالي بين آياته؛ وإن الاهتمام بهذه المسألة والاستفادة منها له الأثر الكبير في فهم القرآن الكريم؛ مع الأخذ في الاعتبار أنه في كثير من الأحيان يتم التعبير عن المحتوى المتعلق بنفس الموضوع في سور وآيات مختلفة، يصبح الأمر أكثر ضرورة؛ وفي تفسير كل آية، حتى في غير الابهام والاجمال والتشابه، لا بد من الرجوع إلى جميع الآيات المترابطة دلاليا، حتى الحالات المحتملة؛ لأن فهم كل آية من القرآن والوصول إلى المعنى والمراد الحقيقي من الله عزوجل، بالإضافة إلى مكونات التفسير الأخرى، يتم من خلال النظر في الآيات الأخرى.الكلمات والالفاظ هي ظرفٌ للمعنى، واكتشاف العلاقة بين الكلمات والمعاني يؤدي إلى فهم الرسالة؛ ولذلك فإن معرفة المعنى الدقيق للكلمات والأجزاء المكونة للكلمات هي ضرورة لا يمكن إنكارها لفهم المعنى الصحيح؛ كما أن معنى الكلمة يمكن أن يكون دليلاً بشريًا عندما يتم تقييم الكلمة في سياق النص؛ وإلا فإن مجرد الفحص المعجمي للكلمة لن يقود الإنسان إلى الهدف الرئيسي.ومن وجهة نظر فإن لغة القرآن لغة خاصة واستثنائية وفوق قدرة الإنسان، ومن وجهة نظر أخرى فهي لغة منفتحة وعالمية؛ عمومية اللغة ووضوح التعبير، ومع ارتفاع المعاني، لا بد من استخدام أساليب مختلفة وطرق مختلفة في التعبير حتى يستفيد منها كل عالم على قدر قدرته؛ إن موسيقى القرآن الظاهرية والباطنية، التي تنبع من الترتيب الدقيق والإيقاعي للكلمات، هي التي تؤدي إلى تكوين معانيه السامية.[٤٧]استخدام القواعد اللفظية ومن أجل فهم كلام كل متكلم وقياس أجزائه المختلفة مع بعضها البعض، هناك قواعد عرفية يمكن استخدامها في فهم كلام الله ويمكن مقارنة بعض الآيات بفهم البعض الآخر؛ على سبيل المثال، يرتبط "الخاص" بـ "العام"، وكلمة "المقيد" قرينة لـ "المطلق".[٤٨]ويعتبر بعض النقاد وجود تعارض بين قراءتين في نفس الآية بمثابة تعارض بين آيتين ويعتبرون عدم تناسق القراءات هو سبب الاختلاف في القرآن؛ لأن الجميع اعتبر تلاوته كلام الرب؛ ولهذه التناقضات في التلاوة فإن نزول القرآن مشكوك فيه مع هذه الاختلافات؛ وعلى هذا الأساس يبدي جولدزيهار شكوكه، فيرى أنه من بين الكتب الدينية لا يعاني أي منها من مشاكل وعدم استقرار من حيث النص مثل القرآن؛ وقد سرد أيضًا أمثلة على الخلافات لتبرير فكرته.[٤٩]وفي الرد على الشبهة المذكورة أعلاه، يؤكد علماء الإسلام على أن القرآن وطريقة التلاوة حقيقتان مختلفتان؛ لأن القرآن هو نص الوحي الذي نزل على النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) على يد جبريل، وقد تلقّاه المسلمون من النبي مباشرة، وبعد ذلك، انتقلت الآيات القرآنية من جيل إلى جيل بشكل متواصل؛ إلا أن القراءات والكلمات والتفسيرات المختلفة تأتي من نفس الوحي الذي ظهر على شكل نص الوحي عند كتابته أو قراءته؛ بمعنى آخر، التلاوات والاجتهادات والاستنباطات والتأويلات عند القراء واحدة لتحقيق نفس النص، وكان اختلاف وتعدد الاجتهادات الشخصية هو الذي أدى إلى ظهور تنوع التلاوات.[٥٠] وبالإضافة إلى ذلك فإن القراءات المتنوعة هي عبارة عن مجموعة روايات عن المرسل، وتعتبر خبراً واحداً على افتراض وجود إسناد وصحة لا يمكن إثبات شيء من القرآن؛ لأن إثبات القرآن يحتاج إلى نقل قطعي ومتواتر، وهذه الخاصية لا توجد إلا في قراءة حفص عن أمير المؤمنين عليه السلام.[٥١]بيان أمثلة فهم نص القرآن معنى الأمر كأمر قرآني باعتبارها أصغر وحدة ذات معنى في اللغة، تنقسم الجملة إلى فئتين، الخبر والانشاء، في مجال الدلالات؛ وللجمل الانشائية أنواع متعددة، ولكل منها قدرات خاصة واستخدامها يعطي اتساعا معينا للغة؛ ويعتبر بيان الأمر مع الوظائف الناضجة لإعطاء الأوامر وإصدار الأوامر أحد أنواع الانشاء؛ وفي تعريف الأمر قالوا إن الأمر هو الطلب من شخص لحصول فعل من موضع أعلى.[٥٢]كما أنهم عرفوا الأمر بأنه استدعاء الفعل من أجل الاستعلاء،[٥٣] ولكن في بعض الأحيان يكون الدافع الأساسي للمتكلم لاستخدام الامر هو شيء آخر غير الامر، وفي هذه الحالة تكون الكلمة قد خرجت عن معناها الأصلي واستعملت في معنى ثانوي له جانب بلاغي ويجعل اللفظ أكثر فعالية.كلمة الأمر من مادة (ا م ر)؛ وهذه الكلمة بمشتقاتها في المعاجم لها معاني مختلفة مثل الأمر والدستور، والعمل والفعل، والابتكار والخلق، والشيء، والبركة، والكثرة، ونحو ذلك؛ و"الأمر" يعني الأمر بالمعروف والمستحب والنهي عن المنكر، فمثلا عندما تقول "أمرت فلانا أمره" فهذا يعني أمرته بما يستحقه من الخير.[٥٤]وبعبارة أخرى، الامر هي كلمة عامة تستخدم في القول والعمل. ومثال ذلك قول الله العظيم في هذه الآية: "واليه يُرْجَعُ الامرُ كُلّه".[٥٥] وفي بعض الأحيان يتم استخدام بنية وتفسير في القرآن الكريم للتعبير عن معنى معين؛ لذلك، بمساعدتهم، يمكننا الحصول على المعنى الحقيقي للآيات الأخرى التي يتم فيها استخدام نفس التفسير؛ فمثلاً عبارة "اجتناب" مع أنها لا تظهر في الحرمة، لكن في الاستخدام القرآني، تستخدم بمعنى التحريم، مثل «وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطّاغُوت»؛[٥٦] «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ»[٥٧] و «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرا مِنَ الظَّنِّ».[٥٨] قال مقاتل بن سليمان في تفسيره للآية ٩٠ من سورة المائدة: «يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» الأمر باجتناب الرجس، مع بنية (اجتناب الرجس) تدل على تحريمها، كما في الآية «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثان».[٥٩] وبنفس التعبير يتحدث عن حرمة عبادة الأوثان.[٦٠] ولذلك ففي جميع الأحوال التي يكون فيها التفسير اجتناباً أو اجتناب الرجس، فإنه يتضمن الحرمة، ما لم يكن هناك قياس على خلاف ذلك؛ وبطبيعة الحال، يعتمد هذا المعيار على أن بنية وتفسير معين في جميع آيات القرآن يدل على نفس المعنى؛ فمثلاً لا يمكن القول بأن معنى لفظة "لا جناح" واحد في جميع آيات القرآن، حتى اذا استند اليها في رواية.جواز الشرعي في تفسير القرآن إن الطريقة السائدة عند المسلمين منذ صدر الإسلام إلى الآن هي

عدم الاكتفاء بالروايات في فهم القرآن وتفسيره، ولا بد من التفكير ملياً في القرآن وبذل الجهد العلمي المناسب لفهم وتفسير معنى الآيات ومقصدها؛ وحتى في الحالات التي لم يرد فيها رواية؛ والدليل على ذلك كتب التفسير الكثيرة التي ظهرت منذ صدر الإسلام.[٦١] وهناك أسباب مختلفة لصحة هذا الرأي؛ ومن الآيات التي تحث الجميع على التفكر في القرآن[٦٢] والذم على من تركه[٦٣] والثناء على المتفكرين.[٦٤] وسبب آخر هو الروايات التي تنص على أن التمسك بالقرآن شرط لعدم الضلال،[٦٥] وقد أمر بالتوجه إليه في الفتن والتفقه فيه وعلى هذا النهج فإن جماعة من أهل السنة لا يرون جواز التفسير، ويقصرون استعمال القرآن على ما ورد في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والتابعين، كما أن بعض المتقدمين الشيعي لم يرى جواز تفسير القرآن إلا بالرواية الصحيحة عن المعصومين (عليهم السلام) .[٦٦]وكذلك بالرجوع إلى الأحاديث التي تمنع التفسير بغير علم، وتحذر المرتكبين من النار؛ وكذلك روايات منع التفسير بالرأي، فقد ذهب إلى أنه لا يجوز استنتاج الأحكام وفهم مضمونها من ظاهر الآيات؛[٦٧] كما أورد حر العاملي هذه الروايات في عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظاهر القرآن.[٦٨]هذا بينما يرى المفكرون الآخرون في موضوع صحة ظاهر القرآن، في رد حجج الأخباريين، أن ظاهر الآيات بعد البحث والتحقق من عدم وجود شرط أو قياس على خلاف ذلك، هو الطريق الأكيد إلى مشيئة الله؛ ولذلك فإن استنباط الأحكام وفهم مضمونها ليس اتباعاً للتخمين، بل اتباعاً للعلم، ثم إنه وإن كان على ظن، فهو على ظن مما أحل الله تعالى، وبراء من تحريمه وذمه، كما يشير إلى تفسير برأي الاستقلال في الفتوى دون الرجوع إلى الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)؛ ولذلك فإن حمل الكلمة على الظاهر بعد البحث عن الارتباطات المتصلة والمنفصلة أو المبنية على سبب عقلي ليس تفسيرا للرأي.[٦٩]

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
النهج البلاغة.

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٦٠
٢. المعامري، الأسلوب، والمنطوق والمفهوم ودوره في بيان تعاليم القرآن، ص٨
٣. واعظي، مقدمة في علم التأويل، ص٥٩
٤. البحراني، الدرر النجفية، ج٢، ص٢١-٢٢
٥. الجوادي الآملي، التفسير الموضوعي، المجلد الأول، ص ٣٨٥
٦. الجوادي الآملي، تسنيم، ج ١، ص ٣٣، ٣٦
٧. الخوئي، البيان، ص٢٦٧-٢٦٨
٨. الداودي، طبقات المفسرين، ج١، ص٤٤٢
٩. الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج١ ص٣١٨؛ معرفت، التمهيد ج٢ ص٧٤-٧٥
١٠. السعيدي روشن، تحليل لغة القرآن، ص٤٠٢
١١. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٤-٤٧
١٢. الصفوي، من اللسانيات إلى الأدب، ص٥١
١٣. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٠
١٤. الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤
١٥. القائمي‌نيا، علم الدلالة، ص٣٧٢
١٦. المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٣، ص٤-٥
١٧. مصباح اليزدي، القرآن، ج٢، ص٧٠-٥٠
١٨. بابائي، منهج تفسير القرآن، ٤٣-٤٤، ٤٦
١٩. جولدزيهار، الاتجاهات التفسيري، ص٢٩
٢٠. حر العاملي، الفوائد الطوسية، ص ١٧٢-١٧١
٢١. صبحاني، إرشاد العقول لمواضيع الأصول، ج٣، ص٢٠٤
٢٢. فراستخواه، لغة القرآن، ص٢٢٣

٢٣.مصباح يزدي، المعرفة القرآنية، ج٢، ص٦٣
٢٤.معرفت، التمهيد، المجلد الثاني، ص ١٩٠-١٩٥
٢٥.مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج١، ص ٥٠١

هوامش البحث

---

[١] **استاذ مشارك عضو هيئة التدريس و الباحثين في جامعة المصطفى العالمية**

[٢]. معرفت، العلوم القرآنية، ص٥٠-٤٧

[٣]. السعيدي روشن، تحليل لغة القرآن، ص٤٠٢

[٤]. الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص٣١-٣٢

[٥]. الكسار، فهم القرآن، ص٣٨

[٦]. الخوئي، البيان، ص٥١٠

[٧]. الجوادي الآملي، تسنيم، ج ١، ص ٣٣، ٣٦

[٨]. الجوادي الآملي، التفسير الموضوعي، المجلد الأول، ص ٣٨٥

[٩]. الجوادي الآملي، التفسير الموضوعي، المجلد الأول، ص ٣٨٥

[١٠]. مصباح يزدي، المعرفة القرآنية، ج٢، ص٦٣

[١١]. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١١

[١٢]. آل عمران، ١٣٨

[١٣]. قمر، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠؛ كذلك دخان، ٥٨

[١٤]. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٦٩-٧٠

[١٥]. سورة ص، الآية ٢٩

[١٦]. سورة محمد، الآية ٢٤

[١٧]. الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص٢٩-٣٠

[١٨]. سورة النساء: الآية ٨٢

[١٩]. بابائي، منهج تفسير القرآن، ٤٣-٤٤، ٤٦

[٢٠]. الصفوي، من اللسانيات إلى الأدب، ص٥١

[٢١]. واعظي، مقدمة في علم التأويل، ص٥٩

[٢٢]. المعامري، الأسلوب، والمنطوق والمفهوم ودوره في بيان تعاليم القرآن، ص٨

[٢٣] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٦٠

[٢٤]. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٩

[٢٥]. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٠

[٢٦]. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص١٨

[٢٧]. الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤

[٢٨]. حر العاملي، الفوائد الطوسية، ١٧٢-١٧١

[٢٩]. البحراني، الدرر النجفية، ج٢، ص٣٤١-٣٤٤

[٣٠]. حر العاملي، الفوائد الطوسية، ص١٨٤

[٣١]. الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص ٢٩-٣٣؛ جوادي آملي، تفسير تيمي، المجلد الأول، ص ٣٨٤-٣٨٧

[٣٢]. الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص١٨-٢٠

[٣٣]. حر العاملي، الفوائد الطوسية، ١٩٣-١٩٢

[٣٤]. الخوئي، البيان، ص٢٦٨-٢٦٩

[٣٥]. المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٣، ص٤-٥

[٣٦]. المرجع: مصباح اليزدي، القرآن، ج٢، ص٧٠-٥٠

[٣٧]. الأنعام، ١١٦

[٣٨]. النجم: ٢٨

[٣٩]. حر العاملي، الفوائد الطوسية، ص١٩١

[٤٠]. صبحاني، إرشاد العاقول لمواضيع الأصول، ج٣، ص٢٠٤

[٤١]. مصباح يزدي، دراسات قرآنية، ج٢، ص٥٢

[٤٢]. مصباح يزدي، دراسات قرآنية، ج٢، ص٥٢-٥٣

[٤٣]. الطباطبائي، الميزان، ج١٩، ص١٣٧

[٤٤]. مصباح يزدي، دراسات قرآنية، ج٢، ص٥٢-٥٣

[٤٥]. فراستخواه، لغة القرآن، ص٢٢٣

[٤٦]. القائمي‌نيا، علم الدلالة، ص٣٧٢

[٤٧]. القائمي‌نيا، علم الدلالة، ص٣٧٣

[٤٨]. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٤-٤٧

[٤٩]. جولدزيهار، الاتجاهات التفسيري، ص٢٩

[٥٠]. الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج١ ص٣١٨؛ معرفت، التمهيد ج٢ ص٧٤-٧٥

[٥١]. معرفت، التمهيد، المجلد الثاني، ص ١٩٠-١٩٥

[٥٢]. السكاكي، مفتاح العلوم، ص١٣٧

[٥٣]. العلوي، الطراز، ج٣، ص٢٨١

[٥٤]. الزمخشري، أساس البلاغة، ص٥٦

[٥٥]. هود، ١٢٣

٥٦. سورة النحل، الآية: ٣٦

٥٧. سورة الحج، الآية: ٣٠

٥٨. سورة الحجرات، الآية: ١٢

٥٩. سورة الحج، الآية: ٣٠

٦٠. مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج١، ص ٥٠١

٦١. الداودي، طبقات المفسرين، ج١، ص٤٤٢

٦٢. سورة ص، الآية: ٢٩

٦٣. سورة محمد، الآية: ٢٤

٦٤. سورة الأعراف، الآية: ١٧٠

٦٥. حر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٨، ص١٩

٦٦. الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤

٦٧. البحراني، الدرر النجفية، ج٢، ص٢١-٢٢

٦٨. حر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٨، ص١٢٩

٦٩. الخوئي، البيان، ص٢٦٧-٢٦٨